



خطبة صلاة الجمعة 13 / 3 / 2015 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(الحلم)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 90].

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (هَذِهِ أَجْمَعُ آيَةٌ فِي الْقُرْآنِ لِحَيْرٍ مُتَتَلٍّ، وَلِشَرٍّ يُجْتَنَّبُ).

قال تعالى في وصف نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: 4].

قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا قَالَ: لَبَّيْكَ).

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةً صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ» [الترمذي].

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة الثامنة في سلسلة خطب عناوينا (فضيلة... أخلاق تعاملية)

بإمكانك التدريب على الخلق الحميد لتكتسبه، وبإمكانك التخلي عما علق بك مما لا يليق بمثلك.

وهذا هدف السلسلة. عنوان خطبة اليوم: (الحلم)

الحلم: ضبط النفس عند هيجان الغضب.

أو: هو رزانه في البدن يقتضيها وفور العقل.

أو: هو ترك العجلة.

أو: هو الأناة والتعقل.

والحلم نقيض السفه والطيش.

-تخاصم زوجان ثم اصطلاحا، وجاءني ليقول: لقد التأم الصدع وعاد الود بيننا، غير أن زوجتي دعت عليّ يوم الخصومة دعوة لا زالت تترع فؤادي؛ قالت: قطع الله رزقك.

الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب.

-تشاجر مع أجيره، ولما غلا الدّم في رأسه، ضرب بيده على طاولة الزجاج أمامه، فتكسّرت وشقّت ساعده وبعض شرايينها.

الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب.

-علا صوته في سيارة الأجرة العامة فتغيظ سائقها، ودعاه للنزول، فنزل وشتمه ودفع الباب دفعاّ عنيفاّ، فترجل السائق وتشاجرا تشاجر الدّيك.

الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب.

-أزعجه ولده فضربه بعصاة على ساعده فانتفخت، وأبكاه ألّمها الشديد، ولما ذهب إلى المشفى تبّين كسرّها وحاجتها للجبيرة ثلاثة أسابيع.

الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب.

أيها الإخوة:

الناس أمام المزعجات أصناف: فمنهم تنور ثأثرته ويطير الشرر من عينيه، ومنهم يغضب فلا يجهل ويثور فلا يطير، يحتفظ برجاحة عقله واتزان تصرفه، ومنهم من هو بين ذلك.

ومهما يكن من أمر فإن الرجال يُختبرون عند الغضب وعند الهوى، فمن ملكه غضبه وهواه فهو عبداً لمناه، ومن ملك غضبه وهواه فهو ذاك.

فكم من رجل طلق زوجته في ساعة غضبٍ ثم ندم، وكم من شريكٍ حلّ الشركة في لحظة طيشٍ ثم حزن، وكم من طالبٍ ضحك من النظام الصارم في جامعته فتركها، ومرت الأيام فبكى.

إنّ الحياة تدعونا أن نواجه ما نكره بتؤدة وصبر وتعقل، وتُرينا أنّ من حلّم ساد، وأنّ الحلم سيد الأخلاق، وأنّ الكبير منّ تعالى عن أن يردّ على السفه سَفَهه.

ذكر الماوردي في كتابه (أدب الدنيا والدين) أسباباً تدعو المرء إلى الحلم وضبط النفس أذكر لكم أربعة:

أَحَدُهَا: الرَّحْمَةُ لِلْجُهَّالِ.

سَمَّ رَجُلٌ الشَّعْبِيَّ فَأَجَابَهُ: إِنْ كُنْتُ كَمَا قُلْتَ فَعَفَرَ اللَّهُ لِي، وَإِنْ لَمْ أَكُنْ كَمَا قُلْتَ فَعَفَرَ اللَّهُ لَكَ. وَفَسَمَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَطَافًا فَأَعْطَى شَيْخًا مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ قَطِيفَةً فَلَمْ تَعْجِبْهُ، فَحَلَفَ أَنْ يَضْرِبَ بِهَا رَأْسَ مُعَاوِيَةَ. فَأَتَاهُ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: أَوْفِ بِنَذْرِكَ وَلْيَرْفُقْ الشَّيْخُ بِالشَّيْخِ. وَالثَّانِي: التَّرَفُّعُ عَنْ مَجَاراةِ السُّفَهَاءِ، وَذَلِكَ مِنْ شَرَفِ النَّفْسِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ. أَنشُدْ بَعْضَ الرُّعَمَاءِ:

أَوْكُلَّمَا طَنَّ الدُّبَابُ طَرَدْتُهُ
إِنَّ الدُّبَابَ إِذَا عَلَيَّ كَرِيمٌ
أَسْمَعَ رَجُلٌ ابْنَ هُبَيْرَةَ فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: إِيَّاكَ أَعْنَى. فَقَالَ لَهُ: وَعَنْكَ أُعْرَضُ.
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ:

إِذَا نَطَقَ السَّفِينَةُ فَلَا تُجِبْهُ
فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ
فَإِنْ كَلَّمْتَهُ فَرَجَتْ عَنْهُ
وَإِنْ خَلَّيْتَهُ كَمَدَّ يَمُوتُ

والثالث: الْخَوْفُ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَى الْجَوَابِ. وَهَذَا يَكُونُ مِنْ ضَعْفِ النَّفْسِ وَرُبَّمَا أَوْجَبَهُ الرَّأْيُ وَاقْتَضَاهُ الْحَزْمُ.

والرابع: الرِّعَايَةُ لِيَدِ سَالِفَةٍ، وَحُرْمَةُ لَازِمَةٍ. وَهَذَا يَكُونُ مِنَ الْوَفَاءِ وَحُسْنِ الْعَهْدِ.
أيها الإخوة:

لم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «لا تغضب»
عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: مُرْنِي بِأَمْرٍ، وَأَقْلِلْهُ عَلَيَّ كِي أَعْقِلَهُ، قَالَ: «لا تغضب»، فردَّد مراراً، قَالَ: «لا تغضب» [البخاري].
قال العلماء: وَمَنْ مِنَ النَّاسِ يَخْلُو مِنَ الْغَضَبِ، وَحَمَلُوا مَعْنَى الْحَدِيثِ عَلَى مَعْنَى: لَا تَفْعَلْ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ الْغَضَبُ كَمَا قَالَ ابْنُ حَجَرٍ، أَوْ لَا تَعْمَلْ بَعْدَ الْغَضَبِ شَيْئاً مِمَّا نَهَيْتَ عَنْهُ كَمَا قَالَ ابْنُ حَبَانَ.
فالغضب حالة انفعالية ليست بيد المرء أن يمنعها أو يُطْلِقَهَا، ولكن الذي يستطيع المرء منعه وإطلاقه أقواله وأفعاله.

لا تغضب: معناها لاتشتم ولا تذم الناس إذا غضبت.

لا تغضب: معناها لاتضرب بيدك فتؤذي ولا تركل بقدمك فتتردي إذا غضبت.

لا تغضب: معناها لاتحل حراماً ولا تحرم حلالاً إذا غضبت.

وينبغي هنا أن أقدم بين أيديكم خمسة أمور بها يسيطر أحدنا على الغضب إذا هو غَضِبَ، فيلتزم بأمر الله ونهيهِ، وينضبط بحلاله وحرامه إذا غضب كحاله إذا رضي.

هذا، ولا يستقيم إسلام المسلم حتى ينضبط بأمر الله ونهيهِ في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه، وغضبه ورضاه.

• خمسة أمور تسيطر بها على الغضب:

- الأول: أكثر من ذكر الله.

فإنَّ الغضب من الشيطان، والشيطان يذيه ذكرُ الله، ويفرُّ الشيطان من الذاكرين.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:200]، وفي سورة

فصلت: ﴿وَمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الآية:36].

وعن سليمان بن صُرد رضي الله عنه قال: (استبَّ رجلان عند النَّبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده، فبينما أحدهما يَسُبُّ صاحبه مغضباً قد احمرَّ وجهه قال صلى الله عليه وسلم: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» [البخاري].

فمهما أكثرت من ذكر الله في غضبك وفي طمأنينتك كنت أكثر سيطرةً على الغضب؛ لأنَّ الشيطان بعيدٌ عن الذاكرين قريبٌ من الغافلين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَمْرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ» [الترمذي].

- الأمر الثاني: غيّر من حالتك.

إن كنت واقفاً فاجلس، وإن كنت جالساً فاضطجع، وإن كنت متحرّكاً فقف، وإن كنت تقود مركبتك فاسترح على جانب الطريق...

ذلك لأن القائم والمتحرك أكثر قدرةً على الأذية والبطش.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع» [أبو داود].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ تَتَوَقَّدُ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ، فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ فليجلس، أو قال: فَلْيَلْصَقْ بِالْأَرْضِ» [أحمد].

- الأمر الثالث: تَوَضُّأً أو اغتسل.

عن عبد الله بن بجير قال: دخلنا على عروة بن محمد السعدي فكلمه رجل فأغضبه، فقام فتوضأ فقال: حدثني أبي عن جدي عطية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ» [أبو داود].

ثمَّ إِنَّ ذَهَابَكَ لِلْوُضوءِ أو الاغتسال خروجٌ من المكان الذي غضبت فيه، وابتعادٌ عن الشخص الذي أغضبك، وانشغالٌ لدقائق معدودات عن الحادثة المغضبة التي تعرضت لها. وهذه الثلاثة -الابتعاد عن مكان الغضب، وزمانه، وأشخاصه- تخفّف من حِدَّةِ الغضب، ثمَّ إِنَّكَ فِي أَثْنَاءِ الْوُضوءِ أو الغسل وتديلِكَ أَعْضَائُهُمَا تصرف الدَّم الذي اشتدَّ في رأسك من جراء الغضب لتوزعه على الأطراف، الأمر الذي يخفف حدة الغضب أيضاً.

- الأمر الرابع: لا تتكلم.

لا تتكلم وأنت غضبان، وهذه تحتاج إلى تدريب وتأهيل وممارسة. عَوِّدْ نَفْسَكَ أَلَّا تَتَكَلَّمَ وَأَنْتَ غَضْبَانٌ؛ لَأَنَّكَ غَالِباً مَا تَنْطِقُ بِالْخَطَا فِي أَثْنَاءِ غَضَبِكَ. لا تتزوج ولا تُطَلِّق، ولا تشتري ولا تباع، ولا تقض بين اثنين، ولا تُوقِّع عقداً، ولا تعد موعداً وأنت غضبان، حتى لا تُوقِعَ نَفْسَكَ فِي مُحْذُورٍ تَنْدَمُ عَلَيْهِ طيلة حياتك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ» [أحمد].

وبالمناسبة: ما حكم طلاق الغضبان؟

جاء في كتاب (زاد المعاد في هدي خير العباد) لابن قيم الجوزية:

(الغضب ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يُرِيلُ الْعَقْلَ، فلا يشعر صاحبه بما قال، وهذا لا يقع طلاقه بلا نزاع.

قلت: وهذا معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا طلاق ولا عتاق في إغلاق» [أبو

داود]، أي: مَنْ أُغْلِقَ عَلَيْهِ فِي عَقْلِهِ فَلَا طَلَاقَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ كَالْجُنُونِ، فَاقْدِ الْعَقْلَ.

الثاني: ما يكون في بدايته بحيث لا يمنع صاحبه من تصوُّر ما يقول، فهذا يقع طلاقه.

الثالث: أن يستحكم الغضب ويشتدَّ به، فلا يزيل عقله بالكلية، ولكن يحول بينه وبين نيته بحيث يندم على ما فرطَ منه إذا زال، وهذا محل نظر). قلت: وجهاء العلماء على وقوع الطلاق فيه. فالأسلم لك إذا غضبتَ أن لا تتكلم، ذلك أسلم من أن تتكلم فتوقع طلاقاً أو بيعاً أو شراءً ثم تندم ندم الحمقى والمفرطين.

- الأمر الخامس: اذكر ثواب كظم الغيظ.

فإنَّ في كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال والصبر على الجاهل ثواباً كبيراً يغنيك عن التشقّي والانتقام، ويُطفئ غضبك.

عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء**» [أبو داود].

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (I33) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 133، 134] إلى أن قال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِعَمَلِهِمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [آل عمران: 136].

أيها الإخوة:

هذه خمسة أمور بها تسيطر على الغضب:

- (1) أكثر من ذكر الله.
- (2) غير حالتك.
- (3) توضأ أو اغتسل.
- (4) لا تتكلم.
- (5) اذكر ثواب كظم غيظك.

والحمد لله رب العالمين